

تفسير البحر المحيط

@ 175 @ يتبعون ذمهم تعالى في جميع أحوالهم ، كان عليهم أن يتوكلوا على فضل الله
فقنطوا ، وإن شكروا نعمته فلم يزدوا على الفرح والاستبشار ، وإن تصبروا على بلائه كفروا
والضمير في { مِنْ بَعْدِهِ } عائد على الاصفرار ، أي من بعد اصفرار النبات تجدون
نعمته . وتقدم الكلام على قوله : { فَإِنَّ زَكَرَىٰ لَآ تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ } إلى قوله : {
فَهُمْ مَّسْلَمُونَ } في أواخر النمل ، إلا أن هنا الربط بالفاء في قوله : { فَإِنَّ زَكَرَىٰ
} . .

{ اللَّاهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً
ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ } . .
لما ذكر دلائل الآفاق ، ذكر شيئاً من دلائل الأنفس ، وجعل الخلق من ضعف ، لكثرة ضعف
الإنسان أول نشأته وطفوليته ، كقوله : { خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ } . والقوة التي
تلت الضعف ، هي رعرعته ونماؤه وقوته إلى فصل الاكتهال . والضعف الذي بعد القوة هو حال
الشيخوخة والهرم . وقيل : { مِّنْ ضَعْفٍ } : من النطفة ، كقوله : { مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ }
{ والترداد في هذه الهيئات شاهد بقدره الصانع وعلمه . وقرأ الجمهور : بضم الضاد في
ضعف معاً ؛ وعاصم وحمزة : بفتحها فيهما ، وهي قراءة عبد الله وأبي رجاء . وروي عن أبي
عبد الرحمن والجحدري والضحاك : الضم والفتح في الثاني . وقرأ عيسى : بضمين فيهما .
والظاهر أن الضعف والقوة هما بالنسبة إلى ما عدا البدن من ذلك ، وإن الضم والفتح بمعنى
واحد في ضعف . وقال كثير من اللغويين : الضم في البدن ، والفتح في العقل . { مَا
لَبِثُوا } : هو جواب ، وهو على المعنى ، إذ لو حكى قولهم ، كان يكون التركيب : ما
لبثنا غير ساعة ، أي ما أقاموا تحت التراب غير ساعة ، وما لبثوا في الدنيا : استقلوها
لما عاينوا من الآخرة ، أو فيما بين فناء الدنيا إلى البعث ، وإخبارهم بذلك هو على جهة
التسور والتقول بغير علم ، أو على جهة النسيان ، أو الكذب . { يُؤْفَكُونَ } : أي
يصرفون عن قول الحق والنطق بالصدق . .

{ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ } : هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون . { فِي كِتَابِ
اللَّهِ } : فيما وعد به في كتابه من الحشر والبعث والعلم يعم الإيمان وغيره ، ولكن نص
على هذا الخاص تشريفاً وتنبيهاً على محله من العلم . وقيل : { فِي كِتَابِ اللَّهِ } :
اللوح المحفوظ ، وقيل : في علمه ، وقيل : في حكمه . وقرأ الحسن : البعث ، بفتح العين
فيهما ، وقرء : بكسرهما ، وهو اسم ، والمفتوح مصدر . وقال قتادة : هو على التقديم

والتأخير ، تقديره : أوتوا العلم في كتاب الله والإيمان . { لَقَدْ لَبِثْتُمْ } : وعلى هذا تكون في بمعنى الباء ، أي العلم بكتاب الله ، ولعل هذا القول لا يصح عن قتادة ، فإن فيه تفكيكاً للنظم لا يسوغ في كلام غير فصيح ، فكيف يسوغ في كلام الله ؟ وكان قتادة موصوفاً بعلم العربية ، فلا يصدر عنه مثل هذا القول . والفاء في : { فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ } عاطفة لهذه الجملة المقولة على الجملة التي قبلها ، وهي : { لَقَدْ لَبِثْتُمْ } ، اعتقبها في الذكر . قال الزمخشري : فإن قلت : ما هذه الفاء ، وما حقيقتها ؟ قلت : هي التي في قوله :